الخـــوف

للكاتب الفرنسي جان جاك روسو

أحد زعماء الثورة الفرنسية

للأديب محمود البكري محمد

... كنت في الريف ملقيا رحلي عند راهب بروتستانتي اسمه السيد « لامبيرسيه » ، واصطنعت من ابن عمي « برنار » صديقا لي . ولكنه كان جبانا إلى حد يثير الدهشة ، ولاسيما حين يجن الليل ! وكنت أسخر من خوفه دائما حتى ضاق « لامبيرسيه » ذرعا فأراد أن يضع شجاعتي تحت التجربة ...

وفي ليلة داجية من ليالي الخريف دفع إلي بمفتاح المعبد . . ودعاني إلى أن أذهب إلى المنبر ، لأبحث عن الإنجيل الذي كان قد تركه هناك . وحتى يثير في حب الذات أضاف كلمات لم أستطع معها أن أتراجع ...

وانطلقت بلا ضوء .. وربما كان شرا أن يكون معي . . وكان لزاما أن أمر بالمقبرة ، فعبرتها في تسرع ، لأني حين أجدني في الهواء الطلق تنطلق تهاويل الفياجي من مشاعري ...

.. وعندما كنت أعالج فتح الباب سمعت أصداء تنبعث من القبة خيل إلي أنها أصوات . . وبدا لي أن « الروماني » ينتزع وانفتح الباب ، وهممت بالدخول ، ولكني لم أكد أخطو بضع خطوات حتى توقفت ، أخذت أتأمل الظلام المطبق في هذا المكان الفسيح ... ورأيتني مشدودا برعب قف منه شعري ، فعدت أدراجي ، وخرجت ألتف في خوف . وفي الردهة بصرت بكلب صغير كان يسمى « سيلتان » . لاطفني ، فرد إلي بعض الطمأنينة ...

واستحييت من رعبي .. فعدت من جديد . . وتمنيت لو صحبني « سيلتان » .. ولكنه أبى أن يتبعني !

اجتزت الباب مسرعا .. ودخلت الكنيسة . . ولم أكد أدخل حتى ملأني الفزع ، وطار صوابي ! ومع أن المنبر كان على يميني وكنت أعرف ذلك حق المعرفة ، فكنت أدور بلا وعي ، وأبحث عنه كثيرا في الشمال ، وأتخبط حائرا بين المقاعد ، وما عدت أعرف أين أنا ، وما عاد في مقدوري أن أعثر لا على المنبر ولا على الباب ، ووقعت في قلق حائر لا يصفه تعبير !

وفي النهاية لمحت الباب ، فاندفعت اليه ، ومرقت منه — كما دخلته — في سرعة ، مصمما على ألا أدخله إلا في ضوء النهار ...

ورجعت على عقبي إلى المنزل .. وهممت بالدخول ، ولكن صوت السيد « لامبيرسيه » رن في عاصفة من الضحك . . وحسبت أن هذه الضحكات مني ، وخشية أن يفتضح أمري ترددت في فتح الباب . . . وفي هذه اللحظة سمعت ابنة « لامبيرسيه » تبدي قلقها علي . . وتأمر الخادمة أن تأخذ المصباح — بينما يعارض الراهب — وتصحب معها ابن عمي الشجاع ، الذي لن يقصر أحد في تهنئته بهذا الشرف ! وفي تلك اللحظة ، تلاشت كل مخاوفي ، إلا خوفي من أن أصبح مثار الدهشة من رعبي ، فجريت وطرت إلى المعبد ، لا خائفا ولا ضالا .. ووصلت إلى المنبر ، وصعدته ، وتناولت الإنجيل . . ثم هبطت في سرعة ، وفي قفزات ثلاث كنت خارج المعبد الذي نسيت حتى أن أقفل بابه ، ودخلت مثواي لاهثا ، ورميت بالإنجيل على المقعدة مكدودا ، إلا أنني كنت مفعم القلب بالسرور لأنني سبقت النجدة التي كانت قد أعدت للبحث عني

محمود البكري محمد

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك